1989 09 15 - 0001a - 2

الديار 15-9-89 الجمعة ١٥ أيلول ١٩٨٩

١٠ آلاف مخطوف منذ ١٩٧٥ و ٤ آلاف مجهولو المصير جريمتهم أنهم أبرياء ... ونحن لن ننسى...

عيون لا تفارقها الدمعة.. قلوب تحترق وتعتصرها المرارة.. ونفوس يتآكلها العذاب.. علامات الاستفهام والحيرة ترتسم على الوجوه، تحاول ان تفهم لماذا، ترجو ان تعرف السبب والذنب الذي اقترفته ايديهم دون علمهم ليعيشوا نار الجحيم هذه!

بعضهم يتمنى لو كان دفن الزوج او الحبيب بيديه تحت التراب، او لو كان الشقيق او الولد او الوالد ميتاً، فيكون مصيره معروفاً، على ان يكون مخطوفاً او مفقوداً ومجهول المصير!!

وهو من جهته، سجين زنزانة لا يدخلها النور، لا يميز الليل من النهار، نسي دفء الشمس وضوء القمر وتلألؤ النجوم.. كحيوان مرمي في زاوية مكبل اليدين والرجلين، تنخر عظامه الآلام ويمزّق روحه ظلم «اخيه في الانسانية» وتعاسة قدره.. جريمته انه بريء وانه آمن بالتواصل بين ابناء الوطن الواحد والشعب الواحد، فما انقطع عن «العبور» يجتاز يوميا جسور الطائفية والتقسيم... أمله الوحيد اليوم صحوة الانسانية في اجساد شكلها شكل انسان، وتعبث في داخلها الغرائز الحيوانية وحقد جبان.

ما اروعك ايتها.. الحرية!

متطوع في الصليب الاحمر اللبناني وموظف دخول في مستشفى الجامعة الاميركية، كان عائدا الى منزله، بصحبة عمه كمال (٥٣ سنة) الذي يعمل كرئيس محاسبة في احدى المؤسسات في غربي بيروت، بعدما ساهم في اسعاف مصابي متفجرة كركول الدروز وانقاذهم خطفا على طريق المتحف ـ البربير على الرغم من ابراز بطاقة الصليب الاحمر.

* الفرد كتانة مسعف متطوع في الصليب الاحمر اللبناني ايضا كان متوجها بسيارته الخاصة الى المنطقة الغربية عن طريق البسطة. خطف هو ايضا وما زال مصيره مجهولا.

* عبير المصري طفلة عمرها ١٢ سنة يتيمة الاب. خطف اخوها في العام ١٩٨٢ وكان عمره يومها عشرون عاما وكان هو معيل العائلة. تقول عبير «نحنا عايشين ومش عايشين» اوضاعنا النفسية والاجتماعية والاقتصادية سيئة جدا. وما زلنا ننتظر اخي».

* زينب خشان خطف ابنها منذ العام ١٩٧٥، ذهب ليدفن شقيقه ولم يعد حتى الان!..

* نسيمة صبح خطف اخويها اللذين ذهبا معا لشراء الخبز.. ولم يعودا حتى الان! تقول نسيمة «اريد فقط ان اعرف اذا كانا حيين ام ميتين»!

* صبحية فارس خطف زوجها واولادها الثلاثة في ايلول ١٩٨٢ كانوا فارين من مجازر صنبرا وشاتيلا فخطفوهم على احد الحواجز

وعندنا «لا احد على رأسه ريشة» كما يقول المثل الشعبي.. الديانة، الجنسية، اللون، المركز الاجتماعي، المهنة... الخ كل هذا لن يوفر لك لا الحصانة ولا المناعة ضد من يخطر على باله ان يخطفك.. وفي كل الاحوال، «الاسباب الوجيهة» والاتهامات والدلائل على «الخيانة» حاضرة ولا ينقصها سوى زبون لتلصق به.

يخرج رب العائلة الى عمله فلا يعود.. يذهب الاخ الى الفرن لشراء الخبز فلا يعود، يذهب الحبيب للقاء حبيبته فلا هي تلقاه ولا هو يعود.. وتسأل عنه ويأتيك الجواب سريعاً: لا نعرف، ليس عندنا، لم نره ولم نسمع باسمه.. وهنا تبدأ المأساة ويتآكلك العذاب، وتعصر المرارة قلبك وتتراكض الاسئلة المحيرة في رأسك، وتتسابق التساؤلات: اين هو؟ هل هو حي؟ هل هو ميت؟ هل يعذبونه؟ هل يضربونه؟ هل يهينون كرامته؟ كيف يعيش؟ وهل، هل، هل، وكيف، ولماذا؟..

مخطوفون.. ومخطوفون

كل يوم يمر يضاف اسم جديد او اكثر على لوائح المخطوفين او المفقودين اللبنانيين الذين تجاوز عددهم العشرة آلاف منذ بداية الحرب اللبنانية عام ١٩٧٥، دون ان تعترف اية جهة بوجود مخطوف لديها والمضحك ـ المبكي في الامر ان المخطوفين «الكبار» او الاجانب معروفة الجهة التي تقف وراءهم، ابو خاطر واسعد صوايا، وجال هؤلاء على المسؤولين طيلة ثلاثة اشهر والنتيجة لا شيء سوى المواساة. وفي اواخر العام ١٩٨٥ انفرط عقد اللجنة وانحلت.

وفي نفس العام ايضا حاول النائب الدكتور البير مخيبر تأليف لجنة نيابية لملاحقة قضية المخطوفين، وقدمت اللجنة تقريرها في العام ١٩٨٦ الى الرئيس رشيد كرامي ووزيري العدل والداخلية آنذاك. الا ان شيئا لم يرشح ولم يعرف واسدل ستار من الصمت وطوي الملف.

وفي حزيران ١٩٨٧ حاول اهالي مخطوفي الصليب الاحمر والبنك المركزي توسيعَ لجنتهم بضم بقية اهالي المخطوفين لكن المحاولة فشلت او فشلّت، لدرجة انهم منعوا من التجمعات والتظاهرات وحتى من اقامة قداس في احدى الكنائس عن نية ابنائهم.

تسليم وتسلم

عمليات تبادل المخطوفين كثيرة وعديدة جرت خصوصا بين «القوات اللبنانية» وحركة «أمل». وكان آخر تبادل جرى في السابعة والربع من مساء ٢٩ ـ ٨ ـ ٨٥ حيث سلّمت «القوات» ١١ مخطوفاً محمديا لديها وسلّمت «أمل» ١١ مخطوفاً مسيحياً بالمقابل.

وفي ٢٥ ـ ٤ ـ ٨٦ افرجت «القوات» عن ٣٤ مخطوفا لديها واصدرت يومها بياناً اعلنت فيه انهم آخر

19890915-0001b-12

الاتصالات عبر العالم والاقمار الاصطناعية ووسائل الاعلام كافة من تلفزيونات واذاعات وصحف، محلياً وعالمياً، وتنظم المظاهرات المنددة «بالارهاب» والمذكّرة بشرعة حقوق الانسان، وتتحرك البوارج والاساطيل.. لا بل ينبري الزعماء عندنا ليشاركوا في التنديد، فيستقبلون اهلهم ويطيبون خواطرهم ويعدونهم ببذل المستحيل للمساعدة «انسانيا» على الاقل.

وعندنا لا يزال مصير ما يزيد عن الاربعة آلاف مفقود ومخطوف مجهولا، لا احد يعرف عنهم شيئا، يتجاهل المتزعمون امرهم، وينكرون معرفتهم بشيء عنهم، بعد ان كانوا هم الذين امروا بالمداهمات والاعتقالات واقامة الحواجز للخطف.

واولادنا نحن، ورجالنا، واحباؤنا، من يتحرك من اجلهم؟ من يرفع قضيتهم؟ من يتكلم باسمهم؟ هذا الصمت المريع والتجاهل المريب والتناسي المعيب من يكسر حائطه فيريح الآلاف الآلاف من ابناء هذا الوطن المعذب؟

قصته.. عندنا

تاريخ الخطف في لبنان يعود الى اوائل الحرب اللبنانية حيث بدأ «على الهوية» وارتدى طابع الطائفية.. ثم انتقل ليكون مناطقيا اي للترهيب واجبار عائلات بأكملها على الانتقال من منطقة الى منطقة، فتم عندها فرز الوطن طائفيا ومناطقيا.. وطبعا هناك الخطف لاسباب سياسية وحزبية، كما درجت موضة الخطف لابتزاز الاموال، او خطف الاطفال للمتاجرة بهم وبيعهم.. وجرّ الخطف اعمال الخطف المضاد فمن خطف ولده او ابوه او احد أقاربه وفقد الامل من استرجاعه «بالحسنى» اندفع لخطف ابرياء بالمقابل للمساومة بهم. واشهر عملية في هذا المجال تمت في ١٦ ـ ٦ ـ ١٩٨٦ عندما اقدمت منظمة اطلقت على نفسها اسم «الحركة المستقلة لتحرير المخطوفين» على خطف اربعة من موظفي جريدة «النهار» مع سبعة موظفين آخرين في شركة تأمين وطالبين في الجامعة الاميركية واستاذ فيها، وصارت المنظمة تصدر البيانات وتضطر ادارة الجريدة ان تضعها في الصفحة الاولى للفت نظر وانتباه الناس والمسؤولين، ومن يجب ان يسمع ويعي، الى قضية المخطوفين وايلائها الاهمية التي تستحقها.

وفي العام ١٩٨٥ تشكلت في غربي بيروت «لجنة اهالي المخطوفين» وصارت تتظاهر كل اربعاء امام دار الفتوى رافعة شعار «تحرير اهالينا هو المدخل الحقيقي لتنفيذ اي خطة امنية في لبنان» ووصلت الى حد قطع المعابر وشل الحركة عليها واشعال الدواليب...

وفي شرق بيروت ألّف اهالي المخطوفين ابن الاحياء مخطوفي البنك المركزي لجنة انضم اليها السادة محسن سليم، بطرس حرب، جوزيف عندها. غيرهم اي مخطوف، والباقون متهمون بعمليات تخريب او سرقة او جرائم اخرى، واغلقت من ناحيتها الملف.. الا ان لديها لوائح عديدة لمئات لا بل آلاف الاسماء من المفقودين والمخطوفين خصوصا ايام حرب الجبل واتهمت الاشتراكيين واعوانهم بخطفهم او اعتقالهم. الا ان الحزب التقدمي الاشتراكي سارع منذ اللحظة الاولى وعلى لسان رئيسه الوزير وليد جنبلاط الى الاعلان ان لا مخطوفين لديه البتة. وبهذا نفض يديه من القصة بتاتا ومنذ البداية.

من جهته يؤكد السيد سنان براج رئيس «لجنة الدفاع عن الحريات الديموقراطية» بوجود ٢١١١ مخطوفاً لدى «القوات اللبنانية» و٥٥٠ آخرين عند الجيش اللبناني.

هذا ولا ننسى المخطوفين الآخرين عند «حزب الله» وغيره من الاحزاب اللبنانية، اضافة الى المعتقلين في السجون السورية وآلاف الآخرين لدى اسرائيل في معتقلات عتليت وانصار والخيام.. وهؤلاء على الحكومة واجب المطالبة بهم ومعرفة مصيرهم لانهم معتقلون لدى دولة اخرى.

من قصصهم

١٩ آب ١٩٨٥ من اسوأ الايام التي عرفها تاريخ الخطف، ففي ظرف اقل من ساعتين خطف على المعابر بين المنطقتين ثلاثون شخصا من الشرقية و١٨ من الغربية، بينهم متطوعي الصليب الاحمر وموظفي البنك المركزي وبعض المصارف والمؤسسات الاخرى:

الاربعاء ١٤ آب انفجار سيارة مفخخة في سد البوشرية، السبت ١٧ آب انفجار سيارة اخرى في انطلياس، الاثنين ١٩ آب انفجار سيارتين في كركول الدروز والغبيري.. والحصيلة ضحايا بالمئات. وتصريحات تزيد الطين بلّة: جنبلاط يؤكد «الغلبة لمن يهزم الآخر» وبري يعلن «الموت للنظام او الموت للبنان» وكميل شمعون يرد «سنعيد الضربة مئة ضربة».

في هذا الجو المحموم كان عدد من الموظفين يستعد للعودة الى بيته:

* الدكتور اميل شعيب (٣٢ سنة) مسؤول في مديرية الاحصاءات في البنك المركزي واستاذ في الجامعة الاميركية، الكسندر حنا ديب (٣٣ سنة) رئيس غرفة الحاكم في البنك المركزي، جاك الياس جرماني (٢٧ سنة) محامي وموظف في البنك المركزي، روي ايلي وكيل مهندس مدني يعمل في ورشة لاصلاح وتجديد مطار بيروت... و٢٥ موظفا آخرين كانوا عائدين تركوا مكاتبهم في الواحدة والنصف بعد الظهر عائدين الى بيوتهم واهلهم وعائلاتهم.. لكنهم لم يصلوا.. خطفوا على حواجز المعابر او بالقرب منها وما زال مصيرهم مجهولا.

* سمعان جدع (٢٤ سنة) مسعف المخطوفين متزوج وعنده ثلاثة اولاد، بعد خطفه تركتهم والدتهم واصبحت السيدة صبحية مسؤولة عنهم الى جانب خمسة اولاد... وهي لاجلهم تعمل خادمة في البيوت. تبكي وتستصرخ ضمائر المسؤولين «ابناؤنا غاليين على قلوبنا، مثلما اولادكم غاليين عليكم».

* والدة خالد ابو دية تروي ان ابنها ذهب الى طرابلس لزيارة خطيبته لكنه لم يصل. ومن حينه لا احد يعرف عنه شيئا. «اكاد اصاب بالعمى لكثرة البكاء. لا اريد شيئا، ولا حتى اطلاقه، فقط اريد ان اعرف مصيره: اين هو؟ هل هو حي؟ هل هو ميت؟»

* منذ اربع سنوات غادر ريشار البير سالم وشقيقته كريستين منزلهما متوجهين الى الحمراء، وعندما طال غيابهما ذهب عمهما جورج الياس سالم (٧٥ عاما آنذاك مصاب بالسكري) ليسأل عنهما، ولم يعد هو الاخر.

* وفي العام ١٩٨٥ دخل مسلحون منزل آل الخوري في الحمراء فخطفوا نزار وزوجته مها وعمه سهيل. ثم بعد ايام من الاتصالات والبحث اتفق على دفع ٢٥ الف دولار فدية للافراج عن المخطوفين فذهب زاهي شقيق نزار ومعه الفدية كما جرى الاتفاق، فاختفى هو الاخر، وطارت الفدية.

لن ننسى

وماذا بعد؟

لقد طال عمر المأساة، والاهالي يعللون النفس بالافراج عن احبائهم واولادهم وازواجهم.. سراح الامل لن ينطفئ في قلوبهم، وايمانهم بالله كبير وعظيم ففي النهاية لا يصح الا الصحيح ولا بد للحقيقة من ان تنجلي.. في كل يوم وفي كل ساعة يستصرخون ضمير الخاطفين وينتظرون ان تصحو ضمائرهم وتتحرك الانسانية في قلوبهم وفي نفوسهم.. من حقهم في هذه الدنيا ان يعيشوا الحياة التي منحهم اياها الله مع من يحبون، ولذلك يطلبون من اهل الفانية ان يطلقوا سراح مخطوفيهم او على الاقل معرفة مصيرهم حتى ولو كانوا امواتاً (تصوروا).. كفى تجبرا فالله اكبر من الجميع..

هم لم ينسوا.. ونحن ايضا لن ننسى.. فقضية المخطوفين قضية انسانية ووطنية خطيرة تهدد المجتمع اللبناني وركائز الوطن.. وقد آلينا على انفسنا رفع معاناة ومأساة قسم كبير من شعبنا ليصل الى من يجب ان يسمع ويعي، فنكون صوتاً صارخاً في برية الصمت المريب. وسلاحنا الوحيد قلم وورقة وكلمات تنبض وتثور في بلد حوله الظلم بأكمله الى مخطوف فمتى يطلقون سبيله؟!

تحقيق: مي عبود